

مخطوطات ومطبوعات

الحكيم موسى بن ميمون

تأليف الدكتور امراييل ولفنسوف (ابو ذؤيب)

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٥ - ١٩٣٦ ص ١٧٩

الاستاذ ابو ذؤيب من أساتذة الجامعة المصرية اثبت كفاءة في البحث والنظر في كتابيه تاريخ اليهود في جزيرة العرب وتاريخ اللغات السامية والآت جاء في هذا السفر يثبت كفاءة إلى كفاءته وبجثا إلى عظيم اجتهاته فقد جود في الكلام على حكيم الاسلام والعرب أبي عمران موسى بن ميمون القرطبي المتوفى في مصر ١٢٠٥م وكان رحل من الاندلس الى مصر في عهد السلطان صلاح الدين من اعتداء أعدائه وابناء نجلته اليهود وحل لديه ولدي مستشاره القاضي الفاضل المحل اللائق بعلمه وفضله . وقد حل المؤلف حياته ومصنفاته بأسلوب جميل تكاد تعتقد اذا قرأته أنه لم يترك مصدراً افرنجياً ولا عبرياً ولا افاغص فيه واستخرج درره وعرض فيها لمولد الفيلسوف ونشأته وأسرته وسيرته ووفائه ولمؤلفاته ولفلسفته ولا سيما كتابه دلالة الحائرين الذي كتبه بالعربية بحروف عبرية وخص الباب الرابع بمؤلفاته الطيبة وقد قدم له الاستاذ المحقق مصطفى عبد الرازق باشا مقدمة قال فيها : « في بعض كلام المؤرخين ما يشعر بأن صلة ابن ميمون بصلاح الدين الايوبي ووزيره القاضي الفاضل لم تكن مجرد تقدير لقيمة ابن ميمون في الطب والفلسفة بل كان السلطان الأيوبي ووزيره أيضاً يعرفان للحبر الفيلسوف مهارته وحذقه في شؤون السياسة » ويعرفان ماله « من المكانة والقبول عند يهود اليمن في تهدة الثورات التي كانت تنزو بها تلك البلاد »

وأحسن المؤلف في تحليل كتابه « دلالة الحائرين » لابن ميمون وما قال :
وما لاشك فيه ان ظهور التفكير الفلسفي الديني اليهودي في القرون الوسطى انما

هو نتيجة لاتصال اليهود بالحضارة الإسلامية الفلسفية . وكانت الفلسفة اليهودية العربية تتقدم مع تقدم الفلسفة الإسلامية عامة . كانت أول من اتصل بالفلسفة الإسلامية من اليهود سعديا الفيومي اندي أخذ بكثير من آراء المتكلمين الذين قرأوا فلسفة أفلاطون من تراجم رديئة في أغلب الاحوال وضعها لهم علماء السريان منذ القرن الثاني للهجرة ثم انتقلت الأفلاطونيات الحديثة إلى العربية ووجدت لها مناصرين من اليهود أغلبهم من الأندلس وعلی رأسهم الشاعر سليمان بن جبيرول والعالم ابراهيم بن عزرا . ثم كثرت تراجم كتب أرسطوطاليس إلى العربية وأخذ الفلاسفة من المسلمين يضعون لها الهوامش والحواشي فأصبحت مبادي أرسطو في الطبيعيات والكائنات من الألفاظ المرادفة للفلسفة عامة .

قال ابن ميمون درس الفلسفة اليونانية في التراجم العربية وتأثر بأرسطوطاليس ودرس كتاب الاخلاق لأرسطوطاليس من ترجمة اسحق بن حنين كما علم نظرياته من شروح يونانية مترجمة إلى العربية مثل اسكندر الافروديسي وشمسيتوس ثامسطينوس ويحيى النخوي ، وصلت إليه نظريات أرسطوطاليس بواسطة المصنفات العربية الإسلامية مثل كتب الغزالي وابن باجة ابي بكر بن الصائغ وابن طفيل وثابت بن قرة والقيصي وابن افلاج الاشبيلي ومحمد بن زكريا ابي بكر الرازي والفرغاني ومحمد بن سنان البتاني الحراني والفارابي والمتكلمين من المسلمين ودرس المذاهب الإسلامية دراسة وافية ولا سيما المعتزلة والأشعرية والمتكلمين وبين ما بين هذه المذاهب وبين المذاهب اليهودية من الفروق في التوحيد

وقال الاستاذ ابو ذئيب ان ابن ميمون كان يستعمل لغة عربية غنية بالمفردات بعيدة عن التكلف ولعلها من أجود ما أنتجه العقل اليهودي في أساليب النثر العربي وقد تشتمل عباراته على الفاظ عامية شائعة في اللهجات العربية بمصر والمغرب والأندلس ، وقال إنه ليس هناك كتاب عبري بعد الكتاب المقدس وصحف التلمود اثر تأثيراً عميقاً في حياة اليهود مثل كتاب دلالة الحائرين لان انصار موسى في حياته وبعد وفاته كانوا يقرؤونه في الكنائس ويدرسونه في المعابد .

ونقل عن غيره ان كتاب دلالة الحائرين هو الكتاب المتداول المرغوب فيه عند اليهود والمسلمين والمسيحيين وقال ان ابن ميمون بدأ فصول الاختتام بمثل رائع يعتبر ملخص نظرياته في التوحيد و الخلوقات و كيفية ادراك البشر للعلّة الأولى حيث يقول : ولا يتضمن هذا الفصل زيادة معنى على ما قد اشتمت عليه الفصول الماضية وانما هو شبه الخاتمة لإدراك الحقائق الخصیصة به بعد ادراكه والارشاد لحصول تلك العبادة التي تلك هي الغاية الانسانية و كيف تكون الغاية في هذه الدار ، واني مفتتح هذا الفصل بمثل أضربه لك فأقول : « ان السلطان في القصر واهل طاعته كلهم ، منهم قوم في المدينة ومنهم خارج المدينة ، وهؤلاء الذين في المدينة منهم من قد استدير دار السلطان ووجهه متجه الى طريق أخرى ومنهم من هو قاصد دار السلطان ووجهه اليه وطالب دخولها والمثول امامه ، لكنه الى الآن لم يرقط سور الدار ومن القاصدين من وصل الى الدار وهو يدور حولها يطلب بابها ، ومنهم من دخل الباب وهو يسير في الدهليز ، ومنهم من انتهى الى أن دخل قاعدة الدار وأصبح مع الملك في موضع واحد غير أنه لم يكن يراه ويكلمه ، ولكنه بعد دخول الدار لا بد له من سعي آخر يسعاه حتى يضر بين يدي السلطان ويراه على بعد أو على قرب أو يسمع كلامه او يكلمه ، وهاءنذا اشرح لك هذا المثل الذي ابتكرته فأقول : اما الذين هم خارج المدينة فهم الذين لا عقيدة عندهم نظرية أو تقليدية . وحكم هؤلاء كحكم الحيوان غير الناطق . وما هؤلاء عندي في مرتبة الانسان وهم من مراتب الموجودات دون مرتبة الانسان واعلى من مرتبة القرد اذ قد حصل لهم شكل الانسان وتخطيطه وتمييز فوق تمييز القرد .

وأما الذين هم في المدينة واستدبروا دار السلطان فهم أهل رأي ونظر ولكن لهم آراء غير صحيحة إما من غلط وقع لهم في حال نظرهم او من خطأ في التقليد فهم من أجل تلك الآراء كلما ابعدوا في السير ازدادوا بعداً عن دار السلطان وهؤلاء شر من الأولين بكثير . وقد تدعو الضرورة في بعض الأزمنة لقتلهم ومحو آرائهم حتى لا يضلوا غيرهم

وأما القاصدون دار السلطان والدخول عنده لكنهم لم يروا قط الدار فهم جمهور اهل الشريعة من عامة الناس الذين يحافظون على فرائض الدين . وأما الواصلون الى الدار الذين يطوفون حولها فهم الفقهاء الذين يقلدون الآراء الصحيحة تقليداً ويتفقهون في العبادات ، ولم يلمحوا بنظر في اصول الدين ، ولم يبحثوا بوجه عن تصحيح اعتقاد .

فأما الذين خاضوا في النظر في اصول الدين فقد دخلوا الدهليز والناس هناك مختلفو المراتب بلا شك . فأما من حصل له البرهان على كل ما تبرهن وتيقن من الأمور الإلهية وقارب اليقين فيما لا يمكن فيه إلا مقاربة اليقين فقد أصبح مع السلطان في داخل الدار .

واعلم يا بني أنك ما دمت تشتغل بالعلوم الرياضية وبصناعة المنطق فانك تكون من جملة من يدور حول الدار يطلب بابها فاذا فهمت الامور الطبيعية فقد دخلت الدار وأنت تمشي في دهاليزها ؛ فاذا اتمكت الطبيعيات وفهمت الإلهيات فقد دخلت إلى السلطان وأصبحت معه في دار واحدة ، وهذه هي درجة العلماء وهم مختلفو الكمال . فأما من امعن بفكره بعد كماله في الإلهيات ومال بجملته نحو الله عز وجل واضرب عما سواه ، وجعل افعال عقله كلها في اعتبارات الموجودات للاستدلال منها عليه ليعلم تدبيره لها على أي جهة يمكن أن يكون فأولئك هم الذين مثلوا في مجلس السلطان . وهذه هي درجة الأنبياء . . . اما من فكر في الله واكثر من ذكره بغير علم بل قلده فيه غيره فانه خارج الدار وبعيد عنها لا يذكر الله حقيقة ولا يفكر فيه لأن ذلك الأمر الذي في خياله والذي يذكره بفيه ليس مطابقاً لموجود أصلاً . . . »

محمد كرد علي

www.alukah.net